النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي "الآداب"

لبنان

التلفزيون .. والغزو الثقافي الاميركي !

يتابع المثقفون الواعون في لبنان نشاط محطتي التلفزيون العاملتين في بيروت واللتين تقدمان منذ عام ١٩٥٩ برامج كثيرة تثير التساؤل وتطرح على بساط البحث موضوع محاولات الغزو الثقافي الاميركي .

وقد تناولت الصحافة الوطنية بالحديث والنقد برامج هاتين المحطتين وحذرت من السموم التي تبثها ، كما طالبت أكثر من مرة بتأميمها او اخضاع برامجها اخضاعا مباشرا للسلطات .

وكتب خلدون الخالد في العدد ٤٤٢ من مجلة « الحرية » دراسة مسهبة أراد أن يثبت فيها ان التلفزيون « أداة أمبريالية فعالة » وتساءل : « ماذا يقدم تلفزيون لبنان ؟ » ثم أجاب على ذلك بالتحقيق التالي :

أولا : في القنال ١١ وهو ذاتي الخلفية الاميركية ، تتوزع البرامج على الشكل التالي وعلى القنال الواحدة :

ـ مسلسلات أميركية	٢٤ بالمئة
ـ أفلام أميركية	٢٥ بالمئة
ـ صور متحركة	٨،٦ بالمئة
ـ « أفلام وثائقية »	٤،٣ بالمئة

وهذه « الافلام الوثائقية » يقدمها مترجم جونسون الخاص السيد كميل نوفل .. فتكون حصيلة البرامج الاميركية على قنال واحدة « ٦١،٩ بالمئة » ، أي ١٣٤٥ دقيقة في الاسبوع .

ثانيا : اما البرامج في القنال ٧ الناطقة بالعربية وذات الخلفية الفرنسية وسيكام الصهيونية ، فتتوزع على الشكل التالي :

ـ مسلسلات أميركية	٣١،٥ بالمئة
ـ صور متحركة اميركية	١،٠٥ بالمئة

أي ما مجموعه ٤٢ بالمئة من البرامج توازي ٩٠٠ دقيقة اسبوعيا ..

ومعنى ذلك ان المواطن يتعرض لـ ٦٠ ساعة غسل دماغ على القنال ٧ ، و ٩٠ ساعة على القنال ٥ و ١١ شهريا .

اذا كان الغزو الاميركي يتمثل في هذا الحشد ، فماذا عن البرامج المحلية ؟

ان فعالية هذه البرامج الاميركية ستكون مخففة لو ان البرامج المحلية توازيها .. ولكن من العبث أن ننتظر من مؤسسات أن تقدم مجهودات تتعارض مع مصالحها وأخلاقياتها . ولذلك تبدو البرامج الاميركية كخشبة نجاة للفريق التلفزيوني في هرطقة البرامج المحلية.

أولا : على القنال ٥ و ١١ تستحوذ البرامج المحلية هذه النسب :

ـ أفلام عربية	٢٤ بالمئة
ـ برامج محلية	٢٠ بالمئة
ـ أطفال	١،٩ بالمئة

ثانيا : برامج القنال ٧ :

ـ افلام عربية	١٤،٢ بالمئة
ـ برامج محلية	٢٢ بالمئة
ـ أطفال	١،١ بالمئة

ولكن ما هو مضمون هذه البرامج المحلية ؟

من المعلوم انه عندما يبث فيلم عربي على القنال ١١ يبث فيلم أميركي على القنال ٥ ، وكليهما من الافلام المنتقاة ، فالافلام العربية قديمة ، وحتى الجديدة منها تخضع لاخلاقيات البورجوازية المنتجة وقيمها ، وتدور حول المهندس أو الطبيب أبن العائلة الذي يتزوج رغم ارادة والده الباشا ، والذي سرعان ما يقبل بزوجة ابنه الفقيرة ، أو غرام المليونير ، أو غرام ابن الفلاح بابنة الباشا ، وما شابه ذلك من تركيز على ان مسألة المجتمع مسألة سوء تفاهم بين الطبقات ، وان الطبائع مختلفة .

أما البرامج المحلية ، فانها تصفعك ببرامج أبو ملحم ، وعنتريات أبو المراجل ولفتة المكسرة .. أو بمغازلة شاربي أبو سليم ، و « هز بدن بيروت في الليل » ، أو الطلوع على المشاهدين ببرامج أسطورية في قالب تاريخي عبر حكايات ألف ليلة وليلة ..

وفي كل هذه البرامج « المنحطة » تحاول البورجوازية فرض نصائحها وأخلاقها التي تخدم قضيتها في معالجة سخيفة واخراج ممسوخ ، تقول للمواطن : الدنيا فرص .. وهذا ما كتب لك !

مضمون البرامج الاميركية

أ ـ الافلام الاميركية التي تستحوذ على ٢٥ بالمئة من البرامج تعرفك على رعاة البقر الحقيقيين ، فكل عائلة اميركية هي عائلة « بونانزا » ، عائلة راقية وديعة لا تلجأ للسرقة وقطع الطرق ... وانها أعمرت الولايات المتحدة بمشقة وصعوبة بعد أن عبث بها الهنود « الشرسون المتوحشون » ، وان العدالة مضمونة مائة بالمائة .

ب ـ اما المسلسلات المحترمة ، فعرضها فيه « فائدة » مثيرة .. على القنال ١١ يعرض ما يلي :

١ ـ جحيم المعركة : ٧ جنود اميركيين أفنوا نصف الجيش الالماني في معارك « بطولية » في أوروبا ولم يمت منهم أحد حتى الان ـ لهم طول العزة والبقاء ـ .

٢ ـ كتيبة الرعب : ٦ من المساجين بقيادة ضابط يخترقون خطوط الالمان « الاغبياء » ويبيدونهم ويخدعونهم ببراعة فائقة .

٣ ـ الفواصة الذرية : رجال غواصة يحاولون الدفاع عن العالم من عبث الشيوعية ومن حيوانات البحر .

٤ ـ قافلة العربات : قافلة الاميركي الطيب وراعي البقر الذي يدافع عن العدل وعن الضعفاء .

٥ ـ الرجل الوطواط : الجاسوس الاميركي الفذ ، ابن عم جيمس بوند محطم الجاسوسية الشيوعية .

٦ ـ غزاة من الفضاء : جبروت الاميركي الذي يقهر رجالا قادمين من الفضاء ليفنوا الانسان .

٧ ـ جيم وست : عميل المخابرات الاميركية في القرن التاسع عشر وتفوقه الدائم .

أما على القنال ٧ ، فهنالك ١٣ مسلسلا :

ـ البارون ، شرطة الفضاء ، المعارك ، بونانزا (الذي يستمر عرضه منذ سنوات) ، بيل وسبستمان (الجاسوس الذي يلاحق الشيوعيين ويدحرهم) ، جت سمارت ، مانيكس ، شياطين الجو ، سباق مع الموت ، شياطين الصحراء (حيث يعيش البدوي العربي) ، كاستر ، المجهول .

وفي كل هذه المسلسلات يبرز الاميركي الطيب يوميا ، كرجل

ذكي قوي لا يقهر ، مخلص ، يحارب الشيوعية العاتية ، المتفوق على ألقوى الميتافيزيقية ، الديمقراطي ، اللين ، العنيف مع العدو .

هذا الحشد الذكي الهائل من التركيز على الاميركي ماذا يشكل بجانب الدعاية التجارية للمنتجات الاميركية المتفوقة ؟ ان هذا التركيز على الاميركي « السوبرمان » المتفوق على الانسان يشكل محاولة « غسل دماغ » تهدف الى الارهاب الخفي ، والتماثل بمعيشة « السوبرمان » ، اذ ان غسل الدماغ لا يحتاج الى تركيز وتكرار ومنطق منسجم مع نفسه وفي قالب عنيف مشوق مثير .

وهذا متوفر جدا في الغزو الاميركي ، لدرجة ان أي مشاهد عالم بما تقصده هذه الافلام وبسخافة « اليانكي » وضعفه ، الا انه أمام مسلسل معين تجده منحازا لا شعوريا الى جانب البطل الطيب الذي يحاول مسح سقوطه في الفيتنام وحرب ابادته والذي يقدم نفسه على طبق من فضة .

هذا من جهة مضمون المسلسلات الاميركية فيتلفزيون لبنان ، ولكن ما هي نتائجه الظاهرة السريعة ؟

سنستعير دراسة من المجتمع الاميركي المنحل لنوضح صورة واثر الاميركي البشع على الشباب المنحرفين .

ففي دراسة لمعهد البحوث الاجتماعية في نيويورك ، عن اثر البرامج التلفزيونية على انحراف الاحداث ، النتائج التالية :

ـ ١٠ بالمئة من الفتيان تأثروا بدسائس ومؤامرات ابطال التلفزيون .
ـ ٤٩ بالمئة أثار بهم التلفزيون حمل البندقية .
ـ ٢٨ بالمئة علمهم التلفزيون وسائل السرقة .
ـ ٢١ بالمئة علمهم التلفزيون وسائل تضليل الشرطة .
ـ ١٢ بالمئة علمهم التلفزيون طرق الجريمة .
ـ ٤٥ بالمئة تكونت لديهم فكرة سهولة الحصول على المال بلا عناء أو تعب .

أما بالنسبة للبنات المنحرفات :

ـ ٢٥ بالمئة انزلقن الى الرذيلة بدافع الافلام المثيرة .
ـ ٤١ بالمئة ترددن على حفلات صاخبة حمراء كتقليد .
ـ ٣٨ بالمئة تركن الدراسة لمعيشة حرة طليقة مملوءة بالحب والعواطف التلفزيونية .

قياسا الى هذا الاثر الرهيب للتلفزيون على الاحداث ، ورغم البرامج المحلية المنحطة ، نجد ان برامج الاطفال يستغرق ٣٠ دقيقة اسبوعيا ، وهو عبارة عن دعايات للمدارس في قالب أغان وتمثيليات للصغار من خلال مذيعة تخفف صوتها ليتناسب مع البرنامج ، بينما المذيعات الاخريات يبعن الخضار على الشاشة .

فما الذي سيعلق في ذهن الصغار ، صوت المذيعة المسترجلة ونصائحها .. أم « السوبرمان » الاميركي ؟!

من يريد معرفة الجواب ، عليه أن يجمع خمسة أطفال ويفتح لهم سيرة التلفزيون ، وسيجدهم أبطالا أميركيين ان لم ينقسموا الى « نجيب نهرا » و « برنس كوهالي » ولكن بدون حلبة مصارعة .

الفيلم الوثائقي الاميركي

أما قمة الدعاية الاميركية في الافلام الوثائقية التي تبث حالا بعد مسلسل له جمهور كبير ، حيث يقف كميل نوفل مترجم البيت الابيض ليعطيك صورا عن حياة أميركا الراقية ، أو ليقذف لك بسبعة من العرب المتآمرين « العلماء » ليقنعوك برقي معيشتهم وعدالتهم .. واذا كانت في ذهنك احداث مسيرة الزنوج والفقراء والعنف الذي أحدثته ، طلع عليك كميل نوفل في نفس اليوم بصورة مسيرة حية عن زنوج وفقراء استقبلوا في واشنطن حيث يهب الاميركيون لايوائهم وبناء خيم وبيوت لهم ، الابيض مع الاسود .

التلفزيون والعائلة

في أبحاث العلماء حول التلفزيون نتائج تصل الى ان التلفزيون يحيل حياة العائلة الى حياة آلية ، حيث يقضي على كل تفكير بالواقع ومشاكله ، ويمنع الاحتكاك الاجتماعي ويقضي على المطالعة ليربط الاسرة كصنم في معبد الاله الذي يتحرك وينكلم ، خاصة ان الطبقات الوسطى والفقيرة هي الزبون الرئيسي للتلفزيون ، التي تلجأ له لسد الفراغ والذي يقدم لها تطلعات وأفكار بورجوازية مع منتجات متفوقة ، فعوض أن تنتقل الاسرة الى « حفلة كوكتيل » تنتقل الحفلة الى البيت !

وبعد ، لم نتكلم عن الاخبار وكيف تصاغ ، وكيف يتم الدس والتركيز ، ولم نتكلم عن محور الكون شاه ايران الذي يعرض تتويجه في برنامج لمدة ساعة ونصف !

ويبقى السؤال الاخير : بعد هذا الحشد الاميركي الهائل الذي تدبره أقسام العلاقات العامة التي من مهمتها الاغراء السري الداخلي أو ما يسمى بتحويل شعور الناس ودعوتهم الى التعامل معك والثقة بك .. بعد هذا ماذا بقي من التلفزيون اللبناني .. الا الاسم ؟!

***

مشكلات الطلبة العرب في المانيا الغربية

بقلم : بسام طيبي

من الموضوعات التي تستحق اهتمام الباحث العلمي العربي الملتزم بالثورة قضايا الطلبة العرب في الخارج . وللاسف لم يكن هذا الموضوع حتى الان ـ حسب معرفتي ـ مجالا للبحث العلمي ، للكشف عن مشكلات الطلبة العرب في الخارج وايجاد الوسائل والحلول للتغلب على هذه المشكلات .

وقد افتقدت بشكل خاص الابحاث التجريبية حول وضع الطلبة العرب في الخارج ، هذا الى جانب الاحصائيات الضرورية ، لذلك كان علي أن أعتمد في هذا البحث على مراقباتي الشخصية أثناء السنوات الطويلة التي قضيتها في أوروبا ، وكلي أمل أن يساعد كتاب آخرون ، ممن درسوا في الخارج ، على تطوير هذا البحث ونقده علميا للوصول الى نتائج أفضل . وفي هذا البحث سوف أركز على وضع الطلبة العرب في ألمانيا الغربية فقط ، حيث أمضيت أعوام دراستي ، ولن أتطرق الى الدول الاخرى التي زرتها لان ملاحظاتي بقيت بخصوص الدول الاوروبية الاخرى ، بسبب قصر الفترة التي قضيتها بها ، سطحية ، لذلك ادعها جانبا :

أ ـ الاسباب التي تدعو الطلبة العرب للذهاب الى المانيا الغربية :

قبل الخوض في غمار البحث لا بد من تحليل نوعية الفئات العديدة من الطلبة العرب في المانيا الغربية ، وهذه النوعية ترتابط بشكل وثيق بالاسباب التي دعت هؤلاء الطلبة للدراسة في غرب المانيا. وحسب مراقباتي فهناك خمس فئات من الطلبة العرب :

اولا : يوجد عدد كبير من الطلبة العرب في المانيا الغربية لم يحصلوا على درجات جيدة في فحوص البكالوريا فكانت الشهادة الثانوية التي حصلوا عليها لا تؤهلهم للدراسة في الجامعات العربية الوطنية التي تطلب علامات عالية من طلبتها . فكان معظم هؤلاء يذهبون الى المانيا الغربية ، حيث ان الجامعات الالمانية كانت ـ وحتى لفترة قصيرة نسبيا ـ لا تطالب بمؤهلات عالية من الطلبة المبتدئين . لذلك

فان هذه الفئة الاولى تتألف من طلبة البكالوريا ذوي الدرجات السيئة، مما يدل ، غالبا ، على رداءة النوعية العلمية لهؤلاء الطلبة التي تظهر بوضوح لدى دراستهم الجامعية .

ثانيا : والفئة الثانية تتألف من الطلبة الذين يأتون الى المانيا لتوفر العمل فيها مما يمكن الطالب من تمويل دراسته من خلال العمل في وقت الفراغ ، واثناء العطل الجامعية . وهذه الفئة هي اكثر فئات الطلبة العرب في المانيا الغربية عددا .

ثالثا : اما الفئة الثالثة فتتشكل من أبناء العائلات الغنية من الطبقات البرجوازية والاقطاعية ، ويأتي هؤلاء الى المانيا لسببين : اولهما رغبة الاسر البرجوازية العربية بالحصول على سمعة جيدة عن طريق جعل أبنائها يدرسون في اوروبا وثانيهما هو حب هؤلاء الابناء البرجوازيين للمغامرة بسبب السأم الذي تولده حياتهم البرجوازية المملة في انفسهم وخاصة تساعد الاساطير الشائعة في مجتمعنا حول الحياة في اوروبا على تقوية اسس حب المغامرة هذه .

رابعا : طلبة الدكتوراه والتخصص العالي الذين حصلوا على دراساتهم الجامعية في الوطن فيأتون الى الخارج لكتابة رسالة ماجستير او دكتوراه . وهذه الفئة تتألف غالبا من الطلبة المصريين ، خريجي الجامعات المصرية ، الذين يتمتعون بمنح حكومية عالية .

خامسا : والفئة الاخيرة هي فئة الوفدين من الحكومات العربية للدراسة الجامعية بعد الحصول على الشهادة الثانوية ، وذلك على حساب الدول التابعين لها ، ومعظم هؤلاء الوفدين من العراقيين والسوريين ، والليبيين والسعوديين . اما الجمهورية العربية المتحدة فلا تعطي منحا للدراسة في الخارج بعد الحصول على الشهادة الثانوية.

ومشكلات الطلبة العرب في المانيا الغربية تنقسم الى نوعين : النوع الاول يخص الغالبية العظمى للطلبة بشكل عام ، على اختلاف تبعية هؤلاء الطلبة للفئات المذكورة اعلاه . اما النوع الثاني فيخصص تقريبا كل فئة لوحدها . لنحلل اولا المشكلات العامة للطلبة العرب في المانيا الغربية التي تؤدي ، الى جانب المشكلات الخاصة ، التي سنذكرها فيما بعد ، الى فشل ما يقارب الـ ٧٠٪ من الطلبة العرب في دراستهم .

ب ـ المشكلات العامة :

لن استطيع في هذا التحليل المبسط حصر جميع المشكلات العامة، التي يعانيها الطلبة العرب في الخارج ، لذلك فانني سأتطرق فقط الى اكثرها اهمية وهي التي تسبب فشل الغالبية العظمى من هؤلاء الطلبة في دراستهم .

المشكلة الرئيسية هي الجنس ، وقد يبتسم البعض . ولكنني احب ان اؤكد مرة اخرى على ان الجنس هو سبب فشل عدد ضخم من الطلبة العرب في دراستهم .

يأتي الطالب العربي الى اوروبا من مجتمع تسوده التقاليد المحافظة التي تضع ستارا حديديا بين المرأة والرجل . فكلمة المرأة تثير مخيلة هذا الطالب قبل قدومه الى اوروبا بسبب الكبت الجنسي الذي يعانيه .

وفي اوروبا لا يرى الطالب العربي هذه الحدود ، فرغم عدم تحرر المرأة في اوروبا كليا ، فان وضعها لا يمكن مقارنته مع وضع المرأة العربية المكبلة بالاغلال .

لذلك نرى كثيرين من الطلبة العرب في الخارج يسيئون فهم تحرر المرأة ويلاحقون النساء كالحشرات الضارة . وتحتل قضية المرأة وقضية الاشباع الجنسي المحل الرئيسي في فكر الطالب فينكب على صرف معظم وقته على الفتيات ، وخاصة الفتيات العاملات اللواتي ينظرن للطلبة نظرة احترام لوضعهم الاجتماعي المرموق في اوروبا ، هذا الى جانب حب الاوروبيات للاشياء الغريبة ، مما يجعلهن ينظرن للطالب الاجنبي كشيء جديد يبعد الملل ، الذي يسود المجتمعات الاوروبية .

ويستغل جزء كبير من الطلبة العرب هذه الامور لدرجة ـ واقولها بصراحة ـ تبلغ القذارة وتثير الاشمئزاز . فبعض هؤلاء الطلبة يتحدثون للفتيات العاملات عن قصور آبائهم الشامخة ، ليثيروا اعجابهن، وغير ذلك من الاساطير التي تثير الاشمئزاز .

ان الطالب العربي في اوروبا هو ضحية مجتمعه الرجعي المحافظ الذي يكبت غرائزه ، ويقيده بالجنازير ، وعندما يفلت هذا الطالب من سجنه الاجتماعي يقع فريسة لاغوائه ويفشل في دراسته .

ومما يجدر ذكره ان هذه الاشياء المأساوية ليست وقفا على الطلبة العرب في اوروبا ، وانما تصلح لجميع الطلبة القادمين من مجتمعات محافظة من ايرانيين وباكستانيين ... الخ الذين هم ـ كما بينت اعلاه ـ ضحية اجتماعية بسبب التربية الجنسية المتزمتة التي يتالونها في مجتمعاتهم .

والمشكلة ، التي تاتي ـ في رأيي ـ بالدرجة الثانية ، هي عقلية المجتمع المتخلف التي يأتي بها الطالب العربي معه الى اوروبا وحتى اولئك الطلاب الذين يريدون ان يكونوا ثوريين لا ينجحون دائما في تغيير تصرفهم وجعله يتناسب مع الثورة الحقيقية . فخلال ملاحظات سنوات عديدة وجدت ان الطلبة العرب لا يتفاعلون مع المجتمع الاوروبي وحضارته وعلمه ، فيبقى تأثير اوروبا عليهم تأثير قشور ، فهم عندما يتفاعلون مع اوروبا ، نراهم يتفاعلون ـ بالاحرى ـ مع الحضارة الرأسمالية المنحلة في عصرها الانحطاطي الحالي ، ولكن نجد فقط عددا قليلا منهم يتفاعل مع الفكر الانساني الذي اتى به عصر التنوير من ليسنغ الى فولتير وهيغل وفيخته .. الخ .

وفي نطاق هذه العقلية ، التي هي وليدة مجتمع متخلف منحل ، ينقل الطلبة العرب الجو الشرقي الكسول الى اوروبا . فتقريبا في كل مدينة كبيرة جامعية في اوروبا يوجد مقهى معين يرتاده الطلبة العرب ويقضون به ـ او بالاحرى يقتلون به ـ معظم اوقاتهم . وخلال زياراتي لمعظم المدن الالمانية وزيارتي الى باريس وجامعات السويد ويوغسلافيا ..

دار الشريف للفكر العربي

تقدم لـك مكتبة كل بيت
نقـدا وبالتقسيط

١ ـ المجموعة العربية :
٦٠ مجلدا لفقه اللغة وادابها وتاريخها ودواوين الشعر لكبار الشعراء ومن ضمنها كتابي
الاغاني ونهاية الارب

٢ ـ المجموعة الاسلامية :
٤٦ مجلدا للتفسير والفقـه والحديث الشريف والسيرة النبوية والتاريخ والفتاوى الشرعية

٣ ـ مجموعة التراث العربي :
٥٧ مجلدا فـي معاجم اللغة العربية وادابهـا وطبقات الشعراء وتاريخ الموسوعات .

اتصل فورا لحجز مجموعتك بالرقـم ٢٩٢٣٨٣
الطريق الجديدة ـ تجاه المخفر ـ بيروت

الخ كنت أراقب هذه الظاهرة باهتمام واتتبع الاحاديث التي كانت تجري ـ في مقاهي الكسل ـ لاجد نفسي مجبرا على الاقتناع بأن اناسا كهؤلاء لن يستطيعوا القيام بالثورة ، بل ان ثوريتهم ـ في حالة كونهم ثوريين ـ ثورية مزورة .

لينين ورفاقه بوخارين ، تروتسكي ، رادك .. الخ امضوا سنوات طويلة في اوروبا ، في المهجر ، ولكنهم كانوا يعدون للثورة ، وان لم يستطيعوا القيام بالعمل الثوري كانوا يقومون بالبحث العلمي وبتعميق ثقافتهم الثورية . كذلك المناضل الفيتنامي هوشي منه الذي قضى سنوات طويلة في باريس ، كانت كلها سنوات كفاح وليست سنوات مقاه وأحاديث سخيفة .

ومنازل الطلبة العرب في اوروبا ايضا تشكل تتابعا لجو المقاهي . يجلس الطلبة هنا في جماعات ويشربون الشاي لساعات طويلة ويتحدثون عن أتفه الاشياء .

هذا الجو الشرقي المنقول الى اوروبا يمنع الطالب العربي من التغلب على الجو المتخلف الذي نشأ به ، وهكذا فجو الحياة الجامعية في مجتمع متقدم جدا يبقى غريبا عليه مما يسبب له صعوبات كبيرة في الدراسة ، لا يستطيع التغلب عليها في معظم الاوقات فيفشل في دراسته .

وفي جامعات المانيا الغربية يسيطر نظام جامعي يسمى نظام « الحرية الاكاديمية » ويصلح هذا النظام لجميع الفروع ما عدا الطب والهندسة . خلاصة هذا النظام هو ان للطالب الحرية المطلقة في اختيار المحاضرات والندوات التي يرغب الاشتراك بها . ولا توجد فحوص في جامعات المانيا الغربية اثناء الدراسة ما عدا الرسائل الجامعية التي على الطالب ان يقدمها من حين لآخر . والفحوص هي فقط في آخر اعوام الدراسة حيث يفحص الطالب في مواد الدراسة الجامعية باكملها. اما الدراسة بحد ذاتها فتتلخص في تدريب الطلبة على البحث العلمي عن طريق كتابة الرسائل الجامعية وليس عن طريق حفظ الكتب عن ظهر قلب ، كما هو عليه في جامعاتنا العربية المتخلفة . وهذه « الحرية الاكاديمية » تسبب فشل معظم الطلبة العرب ، أولا لعدم اعتيادهم على العمل العلمي المستقل دون نظام المراقبة عن طريق الفحوص في نهاية كل عام مثل نظام الجامعات العربية وثانيا تغري هذه الحرية بالتراخي ، فعندما لا توجد فحوص لا يرى الطالب رادعا يجعله ينكب على الدراسة فيقضي اوقاته في المقاهي ودور الكسل .

هذا الجو المنعزل الذي يعيشه الطلبة العرب يقودهم الى مشكلة أخرى وهي عدم تمكنهم من اللغة الالمانية ، التي هي اصعب اللغات الاوروبية ، فنرى عددا كبيرا منهم يتحدث الالمانية بشكل رديء جدا ، ومن يجيد الالمانية بشكل جيد ، فهو يجيد الالمانية التي تستعمل في اللغة اليومية وليست اللغة الالمانية العلمية الجامعية . لذلك فان معظم الطلبة العرب لا يستطيعون متابعة المحاضرات وفهمها لغويا .

هذه هي المشكلات الرئيسية العامة للطلبة العرب في المانيا بشكل فج ومبسط . وانتقل الآن الى معالجة المشكلات الرئيسية الخاصة التي تخص كل فئة خاصة من الفئات الخمس للطلبة العرب في اوروبا ـ وفي المانيا بشكل خاص ، والتي ذكرتها اعلاه بشكل موجز .

ج ـ المشكلات الخاصة بكل فئة :

الفئة الاولى التي ذكرتها في مطلع البحث هي فئة الذين يذهبون الى المانيا للدراسة لعدم قبولهم في الجامعات العربية لرداءة معدل درجاتهم في الشهادة الثانوية .

ويجب هنا ان نفرق بين فئتين : الاولى وتتشكل من الذين حصلوا على علامات رديئة في الثانوية لاسباب عارضة كالاضطراب اثناء الفحوص وما شابه ذلك ، او بسبب طريقة الفحوص في بلادنا التي تتطلب الحفظ عن ظهر قلب وعدم تفهم النصوص . اما الفئة الثانية فتتشكل من اولئك الذين حصلوا على علامات رديئة في الشهادة الثانوية بسبب انخفاض مستوى ذكائهم او لسوء كفاءاتهم العلمية بشكل عام لاسباب عديدة مختلفة يصعب ذكرها هنا ، لضيق المجال .

نرى ان افراد الفئة الاولى ينجحون في دراستهم ، ان هم جدوا وتجاوزوا العقلية المتخلفة لمجتمعاتهم وانسجموا مع الحياة الجامعية العلمية في بلد متقدم . اما افراد الفئة الثانية فيحالفهم الفشل دائما لعدم تملكهم الكفاءات اللازمة التي تؤهلهم للدراسة الجامعية ولا حتى في الجامعات العربية بمستواها المنخفض .

وانتقل الان الى الفئة الثانية المذكورة في مطلع البحث أي فئة الطلبة الذين يأتون للعمل والدراسة في نفس الوقت . ومما يؤسف عليه ان معظم افراد هذه الفئة يتحولون الى عمال ويقضون حياتهم كعمال ولا يعودون الى الوطن ، بسبب خجلهم من اقربائهم وذويهم الذين يتوقعون منهم الكثير .

فالدراسة الجامعية في المانيا الغربية تتطلب التفرغ الكامل لصعوبتها ومتطلباتها الكثيرة ، وعلى من يريد العمل والدراسة معا ان يحمل طاقة جبارة وعليه التقشف المطلق . وانا اعرف عددا من الطلبة العرب ممن نجحوا في هذا ولكن بعد عناء طويل وعددهم قليل جدا . اما الآخرون الذين يعجزون عن ذلك فيتوقفون عن الدراسة ويصبحون ـ رسميا ـ عمالا أو مستخدمين ويحقدون على الالمان ويجعلون المانيا مسؤولة عن فشلهم . والحالة النفسية لهذه الفئة تثير الاشفاق حقا . فهم يرغبون في العودة الى الوطن ولكن المجتمع العربي وتقاليده يقف حاجزا في وجه عودتهم ، اذ ان الطالب الفاشل الذي سيعود للوطن سيكون ـ حسب تقاليدنا التافهة ـ معرضا للهزء وللاحتقار . فيضطر هؤلاء للبقاء في المانيا مكرهين ويقضون حياتهم ـ كما لاحظت ـ في الامراض النفسية والتعقيدات .

اما الفئة الثالثة التي تتشكل من ابناء العائلات الموسرة البرجوازية الذين يأتون الى اوروبا رغبة في المغامرة وبسبب الاساطير والخرافات التي سمعوها عن اوروبا ، فمصير افرادها يختلف من حين لاخر . البعض ينزلق في المجتمع الرأسمالي الاوروبي المنحط ويبالغ في حياته البرجوازية فلا يبقى للدراسة وقت ، والبعض الاخر يتغلب على المفاهيم البرجوازية المنحطة فينكب على الدراسة وينجح بها . ويوجد بعض البرجوازيين الذين يتمسكون بالمفاهيم البرجوازية التي أتت قبل عصر انحطاط البرجوازية مثل حب الثقافة من اجل الثقافة وما شابه ذلك فلا ينسابون مع الانحطاط الذي وصلت اليه البرجوازية في عصرها الحالي فيتابعون الدراسة الى النجاح .

اما الفئة الرابعة فهي فئة طلبة الدكتوراه والشهادات الجامعية الاخرى مثل الماجستير ، الذين درسوا في الجامعات الوطنة وجاءوا للتخصص . وجزء كبير من هؤلاء يأتي من الجمهورية العربية المتحدة ممن يحملون منحا جامعية عالية تمكنهم من الحياة الجيدة والتفرغ التام للدراسة .

ولكن هؤلاء الطلبة يعانون مشكلة عويصة ليسوا هم سببها وانما النظام الجامعي السائد في الجامعات التي درسوا بها . فلقد قمت سابقا بتحليل دور الجامعة في الوطن العربي (انظر : ملاحظات حول الكتابة العربية الحديثة . « الحرية » السنة التاسعة عدد ٤٠٨ ـ فصل الجامعة والكتابة) وبينت ان الجامعة الوطنية في البلدان العربية لاتعلم طلابها البحث العلمي وانما حفظ الكتب عن ظهر قلب . ووصلت في نهاية تحليلي الى ان الجامعة في بلادنا « جامعة فحوص » وليست « جامعة بحث علمي » . وهنا بالذات ترقد مشكلة طلبة الدكتوراه الذين درسوا في الوطن .

فمن المعروف ان رسالة الدكتوراه تتطلب جهدا علميا ضخما لا يقوى عليه الا من تعلم ومارس البحث العلمي قبل ذلك . لذلك يجد طلبة الدكتوراه صعوبات بالغة لعدم تمرسهم في البحث العلمي ، هذا الى جانب صعوبات اللغة التي يجب ان يتعلموها من جديد .

وكثيرون من هؤلاء الطلبة يعودون الى الوطن دون الحصول على درجة الدكتوراه التي جاءوا من اجلها . ومن يحصل على درجة

الدكتوراه يمضي ما يزيد على الخمس سنوات من العمل المضني والجهد الكبير ، بينما يحصل الطلبة الالمان على درجة الدكتوراه بعد كتابة الرسالة الخاصة بذلك بمدة لا تزيد غالبا على سنتين .

والفئة الخامسة تتالف من طلبة المنح الدراسية التي حصل عليها اصحابها بسبب درجاتهم الجيدة في الشهادة الثانوية ومعظمهم عراقيون وسوريون وليبيون وسعوديون . وهذه الفئة هي من انجح فئات الطلبة العرب حيث ان معظم افرادها ينهون دراستهم بنجاح ـ بعكس الطلبة الآخرين ـ ما عدا الطلبة السعوديين الذين هم غالبا من العائلات الملكية والاقطاعية الذين لا يدرسون مطلقا . ففي جامعة فرانكفورت مثلا لم يتخرج أي طالب سعودي حتى الآن منذ تاسيس الجامعة رغم توافر عدد الطلبة السعوديين في هذه الجامعة .

د ـ ملاحظات ختامية :

رغم الطبيعة الفجة والتبسيطية لهذا البحث فانني اعتقد بصحته لانه يرتكز على مراقبات شخصية دامت سنوات عديدة . وآمل ان تقول الجهات المختصة في وزارات التربية والتعليم العربية بمناقشة ما ورد في هذا البحث وآمل كثيرا ان لا يكون مصير هذا البحث النسيان مثل مصير معظم المؤلفات العربية . وانا لم اكتب هذا البحث الا لوضعه للنقاش .

ان اقتراحاتي ـ بناء على هذا البحث ـ تتلخص بما يلي :

١ ـ التغيير الشامل للنظام المدرسي في الدول العربية التقدمية ـ والتي هي قادرة على هذا ـ وذلك عن طريق ادخال البحث العلمي حتى الى المدارس الاعدادية والثانوية وذلك عن طريق تمرين هؤلاء التلاميذ على كتابة ابحاث علمية بسيطة ـ مثل ما يحدث في المدارس الالمانية ـ كذلك على تعليم هؤلاء التلاميذ على كيفية الرجوع الى المصادر العلمية والبحث عنها وكيفية التصرف بها والغاء طرق الحفظ عن ظهر قلب وتعويضها بطرق فهم النصوص ومناقشتها لتعليم التلاميذ الصغار على التفكير عوضا عن اللاتفكير الذي يسببه الحفظ البصم . ان هذا سيجعل هؤلاء التلاميذ قادرين على تحمل اعباء الدراسة الجامعية التي تقوم على البحث العلمي .

٢ ـ تغيير الانظمة الجامعية الحالية في البلدان العربية وادخال نظام الندوات ، الذي يقوم على الاسس التالية :

ـ البحث العلمي عن طريق القيام برسائل جامعية قصيرة .

ـ مناقشة النصوص العلمية في نطاق السيمنار عن طريق العودة الى التفسيرات العلمية العديدة لهذه النصوص وتطويرها .

ـ الغاء نظام الفحوص الحالي الذي يقوم على الحفظ عن ظهر قلب.

الى جانب هذا يجب ان يجبر الاساتذة الجامعيون ـ كما هو الحال في الدول المتقدمة ـ على القيام بالبحث العلمي باستمرار الى جانب التدريس . والاستاذ الجامعي الذي لا يقوم بالبحث العلمي يجب ان يعاني نقصا في راتبه وما شابه ذلك للقضاء على عقلية كسل الاستاذ الجامعي في بلادنا .

٣ ـ ان تغيير نظام الجامعات السائد في بلادنا وانشاء مراكز البحث العلمي سوف يشجع العلماء العرب في الخارج على العودة الى الوطن للمساعدة على القيام في النهضة العلمية . هذا مما سيساعد على التقليل من عدد الطلبة الذين يدرسون في الخارج بسبب توسيع وتحسين جامعاتنا .

٤ ـ وبالتالي تشديد شروط الدراسة في الخارج لان معظم هؤلاء لا ينهون دراستهم ، من الذين يذهبون للدراسة في الخارج . ويجب جعل الدراسة في الخارج وقفا على طلبة الشهادات العليا ، على شرط ان يتقنوا لغة الدولة التي سيدرسون بها الى جانب ابراز كفاءاتهم بالبحث العلمي قبل السفر الى الخارج .

٥ ـ تقوم الدول التقدمية كالصين وكوبا بجلب الاساتذة الجامعيين من فرنسا وغيرها من الدول للتدريس في جامعاتها فلا يحتاج طلبة هذه الدول السفر الى الخارج للدراسة . وعلى الدول العربية اتباع هذا السبيل ، فعن طريقه يمكن نقل حسنات الجامعات الاوروبية الى بلادنا دون نقل طلبتنا الى هذه الجامعات الاوروبية .

وأحب ان اشير في ختام بحثي الى ان مشكلات الطلبة العرب في الخارج مشكلات اجتماعية لها اسسها في المجتمع العربي التقليدي واديولوجيته المتخلفة . ولا يمكن القضاء على هذه المشكلات على اسس فردية ـ بشكل عام ـ دون القضاء على الجذور الاجتماعية المتخلفة لمجتمعنا العربي .

فما دام النظام المدرسي بشكله الحالي وما دامت جامعاتنا الوطنية تعبيرا عن التخلف بكونها مركزا للفحوص وليس للبحث العلمي ، وما دام مجتمعنا العربي يقوم على الطقوس والشعائر والخرافات وليس على العلم والتكنولوجيا الحديثة ... الخ ما دامت هذه الاحوال وكل ما يترابط معها سائدة في مجتمعنا فان مشاكل الطلبة العرب في الخارج سوف تكون نفسها كمشاكل الوطن ، اي امتدادا لجميع الامراض الاجتماعية في المجتمع العربي المتخلف ، ولكن هذا الامتداد هو بشكل مجسم لوجوده في قلب مجتمع متقدم جدا يقوم على العلم الحديث .

فرانكفورت — بسام طيبي

السودان

رسالة من : حسب الله الحاج يوسف

عن الجديد في الشعر والقصة

***

في لقاء مع الاستاذ عبد الله حامد الامين ، رئيس الندوة الادبية بام درمان ، تطرق الحديث الى مناح كثيرة في هموم الادب السوداني والعقبات التي تقف في طريقه ، وخصوصا الجديد في الشعر والقصة، وفي ما يلي حصاد ذلك اللقاء الخصب :

الشعر السوداني الحديث جزء لا يتجزأ من الشعر العربي الحديث ، يتأثر بمؤثراته ، ويمشي خطواته ، ولا ينفصم عنه اطلاقا ـ والشعر السوداني الحديث ـ كما يقول الاستاذ عبد الله ـ كانت بدايته الموفقة في أوائل الخمسينات لدى صفوة من الشباب السوداني كانت تتعلم ، أو تتلقى العلم في جامعات مصر ومعاهدها حيث ظهر الرواد الاول لهذا اللون الادبي الجديد وعلى راس هؤلاء الفتيان : (الفيتوري) ، و (جيلي) و (تاج السر) و (فارس) . وفي السودان كان هناك صلاح احمد ابراهيم ، ومبارك حسن خليفة و (كجراي) وآخرون . ونما هذا الشعر على ارض من الواقعية الاشتراكية بالذات ، حيث كان اكثر رواده من الشبان الاشتراكيين ، فتأثر بعضهم مثل تاج السر الحسن وصلاح وفارس في بدايتهم بالشاعر كمال عبد الحليم ، ثم من بعده بالبياتي ، والسياب ، وكاظم جواد ، وشوقي بغدادي وآخرين لا يتسع المجال لذكرهم . وفي مقابل هذه المدرسة الجديدة ظلت حركة الشعر في تدرجها الطبيعي في داخل السودان تمثل مختلف العناصر والاتجاهات ، واكثرها عناصر تقليدية وعلى راسها كان الثلاثي الكبير : البنا ، والعباسي ، وعبد الله عبد الرحمن . ولكن هذا الاتجاه التقليدي كان على وشك الاحتضار عندما ظهرت المدرسة الجديدة ، غير ان هناك اتجاهات اخرى ظلت تتارجح بين بين وتهتم كثيرا بالجزالة وزخرفة الاسلوب وتفضل الشكل القديم الى اكبر حد وتميل الى الرومانسية حينما تتحرر . وكان يقف على راس هذا الاتجاه الوسط الشاعر محمد المهدي مجذوب . الذي انضم في فترة لاحقة الى ركب التجديد حيث مارس الكتابة بشعر التفعيلة بمقدرة لا بأس بها مع اصراره على الجزالة والاصالة في العبارة والاسلوب .

اما الانتاج الشعري المطبوع من هذه الاتجاهات فمحدود ، وقد مضت سنوات طويلة لم تكن لحركة نشر الشعر فيها أي آثار ظاهرة ،

حتى ظهرت دواوين الشعر الحديث مرة اخرى في الاسواق ، وصرنا نقرأ من جديد لمحمد الفيتوري في مجموعة دواوينه ، ولصلاح احمد ابراهيم في « غضبة الهبباي » واخيرا لجيلي عبد الرحمن في « الجواد والسيف المكسور » وتاج السر الحسن في « القلب الاخضر » . وهذه الدواوين تمثل بحق تطورا جديدا في حياة هؤلاء الشعراء في خط سيرهم الفكري والسياسي ، وفي أساليبهم الفنية أيضا . ويمكن ان نقول باختصار ، ان شعرهم جميعا أصبح أقرب الى ما يراد للشعر الحديث ان يكون . فقد مضى الزمن الذي كنا نحافظ فيه على اسلوب العبارة التقليدية حتى في القصيدة الجديدة . وكان ذلك تخلفا فكريا بدون جدال . وجاء الوقت الذي أصبح فيه اي شاعر من شعرائنا هؤلاء يحاول جاهدا وبجدارة ان يثبت اولا شخصيته الذاتية المتفردة في لون تفكيره وأسلوب تعبيره ، وان يؤكد ثانية طول باعه في ميدان تجديد الشعر الحديث وتصفيته واثبات وجوده ليكون فنا له كيانه الخاص الذي يمثل روح انساننا العربي المعاصر وجوداً وفكرة .

الفيتوري هجر الخطابة الاولى تماما . وتمرد حتى على نفسه ، ولم يعد أسير القافية ، ولا الوزن العروضي المقطع على أجزاء تفعيلية . وانطلق بصوت فريد ليعبر عن روح انسانية عميقة الغور ، صوفية الوجدان . وصلاح احمد ابراهيم حاول جاهداً وخرج من أسر العبارة التقليدية التي كانت سائدة في « غابة الابنوس » ـ ديوانه الاول ، ـ لينطلق محطما كل القيود وعذابه في فنه هو الشكل لا الموضوع ، وقد حاول الهايكو الياباني مجددا بدون ان يشعر فكرته وحدة البيت العربي القديم ليصير البيت هذه المرة قصيدة مفردة مثل ما يقول :

النيل وخيرات الارض هناك
ومع ذلك ..
ومع ذلك ..

ولكن صلاحا يتوقف عند غضبة الهبباي ولا يزيد اذ تستغرقه معارك السياسة والبطولات الشخصية فتصرفه عن مواصلة الخلق والابداع من اجل شكل فني ومضمون حديث .

اما جيلي عبد الرحمن فقد جدد حقا في ديوانه الاخير : « الجواد والسيف المكسور » ووقف في مصاف الشعراء العرب المعاصرين . لقد تخلى عن المضمون القديم ، شكلا ومضمونا وجملة وتفصيلا ، واقترب تماما الى الوجودية اكثر واكثر ، وابتدأ يعيش عذابات الانسان وضجره ، فاتخذ من ذاته المحترقة المزقة متكأ ، وفي ديوانه الاخير هذا يعيش غربته ووحدته باسلوب ينبيء عن شفافية روحية عميقة ، ويؤكد شخصية فنية ممتازة .

غير ان تاج السر الحسن ما يزال صوته القديم يرن في ديوانه الجديد ، ولعل ذلك راجع الى ان اكثر قصائده في هذا الديوان هي من الفترة القديمة ، ثم انه هو الوحيد من بين هؤلاء الشعراء الذي استطاع ان يحافظ على اتجاهه الفكري والفني ، ولكنه بدأ في الآونة الاخيرة ، قبل صدور الديوان وبعده ، يتجه الى مزيد من الانطلاق ليبتعد عن النظرة السياسية الحادة وليتعمق الجوانب الانسانية في الحياة ، وليطور أداته الفنية حتى تصبح معبرة اكثر عن هذه المضامين الجديدة . وتاج السر امين على ذلك وجدير واننا ننتظر منه الكثير .

هؤلاء هم الذين نشروا انتاجهم مرة اخرى مؤخرا ، وما نزال في انتظار ديوان محمد المهدي مجذوب (نار المجاذيب) والذي يعتقد انه سيغلب مفاهيم التقييم للفترة السابقة للشعر السوداني الحديث . هذا ما نظنه . لان هذا الشاعر ظل يكتب منذ ربع قرن دون ان تكون له الشهرة الكافية ودون ان يكون موضع دراسة او تقييم ، مع انه يعتبر من اشهر الشعراء أصالة . بيد اننا لا نريد ان نسبق الزمن ، فالديوان في المطبعة ، وعندما يخرج يمكن ان نفرد عنه مقالة ، او مقالات اخرى ، كما اننا لا بد من ان نشير الى مجموعة اخرى من الشعراء لم يظهر انتاجهم مطبوعا حتى الآن ، ولكنها اصبحت واضحة التاثير في الادب السوداني . انها مجموعة من الشبان الذين ظهروا في اوائل الستينات والذين يتخذ اكثرهم شعر التفعيلة الحر المنسرح وسيلة للتعبير ، واغلبهم متاثر بشعر مصر والشام وبيروت والعراق من الشعراء المحدثين ، ونذكر من هؤلاء الشعراء الشبان على سبيل المثال لا حصرا : محمد المكي ابراهيم ـ علي عبد القيوم ـ النور عثمان ـ محمد عبد الحي ـ عبد الله شابو ـ والاخير هو الوحيد الذي اخرج في وقت وجيز ديوانه الشعري « أغنية لانسان » . وشعره مثل شعر زملائه الآخرين ، ينأى عن النمط التقليدي تماما محطما الابعاد المنطقية والتقليدية في بناء القصيدة . اذ ان اكثر شعره تداع حر بعبارات تتميز بسرعة انفاسها وقصر خطواتها . وربما تكون تجربة الشاعر هي السبب ، لانها لم تكتمل بعد او تبلغ الغاية من النضج . غير ان الطريق ما يزال امام (شابو) وزملائه الآخرين ، وفيهم من يبذه تجربة ومقدرة مجال لاثراء الادب السوداني الحديث بالتجديد الذي لا تكبله رواسب بائدة ولا تحد منه عقد نفسية مركبة .

ان الشعر السوداني الحديث بين رواده الاول الذين مضوا في طريق التجديد ، وبين الشبان الجدد هؤلاء ينتظره مستقبل باهر يزخر بالحيوية وبالشخصية المتميزة ، وبالنكهة المحلية الخاصة في المضمون والتعبير ، مع انطلاق الشاعر فيه الى ابعد رحاب الانسانية المعاصرة ، في آلامها وهمومها ومسراتها وابتهاجاتها .

***

هناك كلمة قالها الاستاذ الجليل الدكتور احسان عباس حينما كان بجامعة الخرطوم عام ١٩٥٨ : « اصبحت أشك في الدوافع التي تحدو بالشعراء في الخرطوم الى مهاجمة الشعر الحديث . وما هو السر في هذه الحملة على هذا الشعر ؟ أهو صراع بين جيلين ومذهبين وزمنين وعقليتين ؟. ربما .. فان الشعر الحديث على انه لا يزال غضا هشا في السودان ، الا انه قد يكون في السنوات المقبلة نذير موت لنوع آخر من الشعر ستتخلى عنه عناصر البقاء .. » *

وعلى ضوء ما تقدم يثبت لنا ان الدكتور احسان عباس ـ زيادة على انه سلطة ادبية محترمة في وطننا العربي ـ فهو بعيد النظر للغاية . غير ان الحرب على الشعر الحديث كانت وما تزال لها سوق رائجة في السودان . ومن أجل ذلك رأينا ان نثير هذه النقطة وهل لهذه الحملة من تأثير على الشعر الحديث في السودان بعد الآن ؟

الاستاذ عبد الله حامد الامين يستطرد فيقول :

ـ ان الحرب على التجديد عموما يدفعها العقم الفكري والجمود العاطفي ، ومثلما تحمل الشعراء الجدد في الوطن العربي كله في بداية محاولاتهم الرائدة حملات المتعصبين العائشين في عهد ثابت بن أوس الازدي (الشنفري) والمكعبر الضبي ، واضرابهما ، والذين عجزوا عن ان يفرملوا عجلة الزمن والتقدم ، كذلك حدث وسيحدث في السودان اكثر مما حدث في بقية الاقطار الشقيقة الاخرى .

صحيح أن هناك هجوما مركزا ومفتعلا على هذا اللون الحديث من الشعر ، وعلى رأس الذين تخصصوا في الهجوم على هذا الشعر في السودان ، الاستاذ عز الدين الامين المحاضر بالآداب جامعة الخرطوم . والاستاذ عز الدين لم يكتف بما يكتبه وينشره من مقالات وحسب ، بل قد أصدر اكثر من كتاب في الهجوم على الشعر الحديث بقصد تحطيم المحاولات الجادة لانعاش وتطوير هذا اللون من الشعر السوداني الحديث . كما حاول ان ينشيء في مقابل الشعر الحديث نظرية فنية (مبتكرة) زعم انها تجديد واسماها نظرية (الفن المتجدد) كان هدفها ببساطة هو الحفاظ على اصول كل فن بما اكتملت عليه من قبل مفاهيمه البدائية والتجديد عن طريق تأكيد هذه الاصول والمفاهيم ، واتباع نهجها واساليبها بمعنى انه ان كان للشعر العربي ستة عشر بحرا (خليليا) على نهج (الفراهيدي) فان التجديد اذن لا بد ان يتم باضافة أبحر جديدة . وذلك اذا استطعنا « اختراع » بحور جديدة . وبعدم ذلك لا بد من الاستمرار في تلك الابحر الآسنة القديمة .. اذ لا ابتكار ولا خلق ولا تطور ولا تجديد ولا من يحزنون . وكما ترى انه ليس

---

* مجلة « شعر » ربيع عام ١٩٥٨ .

من جديد في هذه « السوفسطائية المعذبة » كما انه ليس هناك من نظرية مهضومة يمكن فهمها او ابتلاعها . انما كل ما هنالك مجرد (طرطشة) نابعة من تفكير متعصب تخلفي يقدس عبادة القديم وحسب.

اما الدكتور عبد الله الطيب فبالرغم من حرصه الشديد على دعم الاساليب التقليدية العتيقة البالية في الادب ، ومعارضته لشعر التفعيلة بصفة عامة فربما كان اقل تعصبا من عز الدين الامين لانه حاول ان يكتب بهذه الطريقة (المستحدثة) بعض مسرحياته الشعرية . مؤكدا بصراحة في مقدمة احدى هذه المسرحيات انه لا يرى (غضاضة) في استعمال التفعيلة في المسرحية . ولكنه ينكر ذلك في مجال الشعر ، والشعر الغنائي بوجه خاص !

ويستطرد الاستاذ عبد الله الامين قائلا :

وفي ظني ان الهجوم على هذا اللون من الشعر السوداني الحديث من الاكاديميين وغيرهم ، لم يضر قضية الشعر من قريب او بعيد ، بل بالعكس ، لقد جعل اكثر رواد هذا الفن يتبصر موضع اقدامه جيدا ، كما انه فتح مجالات للمناقشات والحوار الجاد بين نقاد الشعر الحديث في ما بينهم ، وبينهم ومعارضي هذا الشعر من السوفسطائيين والمتحذلقين وعشاق التحجر والنكوص !

***

اما عن القصة في السودان فقد شهد هذا العام بداية حركة واسعة في هذا الميدان ، وذلك بعد ان اصاب كتاب القصة ركود مميت مدى سنوات عديدة .

ان بداية الانعاش الذي نقصده قد ظهرت في اهتمام الصحافة المحلية بنشر الاقصوصة بشكل ثابت . فما تكاد تخلو مجلة او صحيفة يومية او اسبوعية تهتم ادنى اهتمام بهموم الادب من قصة لكاتب من الكتاب المعروفين او الناشئين . والقصة السودانية وبخاصة القصة القصيرة في هذا الطور بدأت بالفعل تتمرد على شكلها التقليدي لدى مجموعة من الكتاب الشباب . ولعل ابرز نموذج لهذا النوع ظهر في مجموعة « ريش الببغاء » لعيسى الحلو . آن هذا الكاتب الشاب استطاع ان يحطم البعدين : الزمان والمكان في قصصه القصيرة ، حيث استطاع ان يبتعد تماما عن السرد المنطقي الكلاسيكي ، واهمل الحديث اهمالا كبيرا . كما ان رسم الشخصيات لديه لم يعد الا تلميحا . ومن هنا كانت محاولاته مليئة بلحظات التداعي الحر ، وشخوصه تنم عن اطياف وجودية .

ربما ناخذ على اسلوبه عدم النضج . وهذه ظاهرة يمكن ان تتلاشى بمرور الزمن والاستمرار والتجربة لدى الكاتب الشاب . وعلى هذا النمط من الاقصوصة يكتب بشير الطيب ، وعثمان الحوري ، وآخرون ، بيد انه لم تصدر لاي منهم مجموعة مطبوعة بعد .

وفي الاتجاه الواقعي التقليدي في القصة ما يزال الميدان منفسحا امام نماذج لكتاب مختلفين ، كأبي بكر خالد ، وحسن الطاهر زروق والطيب زروق ، والاول قد اصدر هذا العام روايته الثانية « التبغ المر » . واتخذ لها مثلما اتخذ لروايته الاولى « بداية الربيع » مضمونا سياسيا صارخا ، يقترب الى الواقعية الاشتراكية دون ان يتعمقها ، كما ينبغي ذلك ، لان الشخوص لديه يتحركون ببساطة وعفوية بدفع خارجي واضح . وتنقصهم الابعاد النفسية والانسانية العميقة . وهذا ما نلمس له اثرا واضحا في بطلة قصته « التبغ المر » والتي طلقت زوجها لان تفكيره البروجوازي لا يوافق تفكيرها الاشتراكي الثوري ، وقد يكون هذا اللون من القصة سائدا في مجتمعات اشتراكية عديدة ، ولكنه في بلد كالسودان يبدو حتما كنوع من المغالاة الفكرية والاملاء الفني !

وابو بكر خالد في قصصه القصيرة غيره في رواياته ، فهو هنا يمتلىء بالحيوية ويضفي على شخوصه كل ابعادهم الانسانية ، ويرسمهم رسما جيدا متقنا ، خاصة في قصصه الاخيرة التي يستوحي معظمها من بعض قرى السودان وبواديه التي سافر اليها بسبب العمل .

اما حسن الطاهر زروق في مجموعته الاخيرة « عبد الصمد وبهية » فقد تعجل الطريق الى النشر . اذ اعد هذه المجموعة على عجل ، وهو بعيد عن البلاد ، ولم يضمنها الكثير من قصصه ذات المضمون الاجتماعي المرجو ، والتي ربما كان قد خلقها في الخرطوم . اما هذه المجموعة والتي يسرد كثيرا في قصصها من ذكرياته الخاصة او الحكايات التي سمعها عن اناس ، فلا تمثل تطورا في دنيا القصة السودانية ولا تقدما جديدا .

ولقد اعد الطيب زروق مجموعته الثانية « بئر بلا ماء » للنشر ، وربما ظهرت في وقت قريب ، وقد قدم بعضا منها في الصحف المحلية. ان الطيب يتطور تطورا ملحوظا ، ويمتاز بطموحه الفني للخروج بالشكل في القصة السودانية الى تجارب جديدة ، واوضح هذه المحاولات تبدو في قصته « محاكمة في قارمبو » والتي اوجز فيها الحدث ، واحكم السرد في وحدة نفسية لا فكرية ولا منطقية ، وجعل من شخوص القصة عن قصد او بدون قصد رموزا انسانية بسيطة وعميقة في الوقت نفسه ـ وينتظر المجتمع الادبي صدور مجموعات اخرى ، وروايات خلال هذا العام . وقد بدأ ذلك فعلا في بيروت حيث تم طبع مجموعة قصصية للطيب صالح ، والطيب صالح روائي وقصصي في منتهى الروعة والتمكن ، وهو أمل كبير لاحداث مفهوم جديد للقصة العربية بعامة ، حيث انه يعكس بمعايشته الصادقة لروح البيئة المحلية الفردية ظاهرة ممتازة وفريدة ، يغنيها باسلوبه الشفاف ولغته الجميلة خصوبة فنية تجعلها اقرب كثيرا الى تناول القارىء العربي والاجنبي ، ومن هنا كان هذا الاهتمام به من النقاد العرب ، والاجانب على السواء .

كما يتوقع خلال هذا العام صدور مجموعة لابي بكر خالد اسمها ، « الريال » ، ومجموعة اخرى لعبد الله علي ابراهيم ، ومجموعة لبشير الطيب ، وهناك فرصة لظهور رواية كبيرة للكاتبة السودانية ملكة الدار محمد .

وثمة دراسات واسعة اخرى حول القصة السودانية ، تنمو وتزدهر باستمرار ، تغذيها اتجاهات اكاديمية في السودان وخارجه . مما يساعد حتما على تقييم حركة القصة عندنا واجلاء معالمها ، وارهاص بمستقبلها. من هذه الدراسات رسالة الماجستير التي اعدها الشاب مختار عجوبة ، بدار العلوم بالجمهورية العربية المتحدة ، والتي ستقدم في هذا الصيف . كما ان هناك رسالة اخرى ايضا للماجستير بدأ اعدادها الشاعر المعروف جيلي عبد الرحمن لتقديمها الى معهد الآداب بموسكو .

ان هذا الاهتمام الاكاديمي ، مضافا اليه الاهتمام المحلي ، والخارجي العام يؤكد ان القصة السودانية قد ثبتت على اقدامها ، وانها اصبحت تضيف الى التراث العربي الحديث اضافات متميزة واضحة ، كما ان هذا التراث العربي يغني القصة السودانية ويثريها من حيث المفاهيم النقدية ، والانماط الفنية المتطورة ولعل مستقبل القصة من هذا المنطلق ينبىء عن تجارب وثمار جليلة النفع لنا وللآخرين .

وعموما فان الامكانيات التي تبدو واضحة الآن في السودان اكثر من ان تحصى في صفحات قليلة ، فهذه القافلة من الشبان الشعراء والقصاصين راحت تشق عرض الطريق بجراة وتمرد ، واخذت تحس بدفء الشمس ، فصارت على اهبة ان تتفتح على اغنى ما يكون العطاء .

ان السودان اليوم ، غيره بالامس ، لقد تفتحت فيه مصبات مختلفة فنية وادبية ، وان المرء ليحس ان فيه شيئا يصطخب في تحرك مستمر، وهو يدنو من موسم يتحقق فيه الاختيار والعناد والصدق والنضج وبروز الشخصية .

الخرطوم

حسب الله الحاج يوسف